٥ - الإسكندر بين أمه وأبيه

اعتلى الملك فيليب عرش مقدونيا سنة ٣٥٩ ق . م بعد أبيه الملك " أمينتاس الثانى Amyntas 11" الذى كان قد انفرد بحكم مقدونيا بعد ارتكابه كثيرا من جرائم سفك الدماء فى نطاق أسرته حتى استخلص عرش مقدونيا لنفسه . وكانت مقدونيا التى تقع فى أقصى شمال بلاد اليونان فى غاية البربرية والتخلف، وكل ما كان يمتاز به أهلها هو شدة ضراوة رجالها فى القتال إذ كانوا فى الغالب الأعم من أصول إسكيذية انحدرت من وسط أوروبا - الذى كان شديد التخلف- إلى الجنوب نحو بلاد اليونان الأكثر تقدما فى مضمار الحضارة الإنسانية والثقافة . وظلت الممالك اليونانية جنوب مقدونيا منطقة جذب لأولئك المحاربين المقدونيين الأشداء طوال عشرات من السنين . وعاش الملك فيليب قبل أن يعتلى العرش فى أثينا بضع سنوات كرهينة لوقوعه فى الأسر فى حياة أبيه ، وأتيحت له فرصة عريضة للاطلاع على أسس الحضارة اليونانية ومباهج الحياة فى أثينا ، حيث كانت تزدهر التجارة ، وتتضخم الثروات ويعيش الشعراء والعلماء والفلاسفة مثل سقراط وأفلاطون ثم أرسطو الذى كان الملك فيليب يكن له كثيرا من الإعجاب والاحترام . وعندما عاد الملك فيليب إلى " بيلا " عاصمة مقدونيا واعتلى عرش أبيه ظل يتطلع دائما إلى امتلاك الممالك اليونانية جنوب مقدونيا حتى أثينا وإسبرطة . وكان الملك فيليب يرى أن الفرس سينجحون فى غزو بلاد اليونان والاستيلاء عليها رغم فشل محاولاتهم إذا لم تتوحد كل الممالك اليونانية فى مملكة واحدة كما كانت بلاد الفرس مملكة واحدة يحكمها ملك واحد. وانقسمت بلاد اليونان مع الملك فيليب وضد الملك فيليب إزاء فكرة توحيد كل المدن اليونانية فى دولة واحدة .

وكان الملك المقدونى فيليب متزوجا بالفعل عندما دعى إلى حضور احتفال دينى فى أحد المعابد فى جزيرة " ساموذريس Samothrace " وهناك قابل امرأة

استحوذت على إعجابه اسمها " أوليمبياس Olympias" كانت ابنة ملك "إبيروس Epirus " وكان أبوها قد توفى قبل مقابلة الملك فيليب لها . وطمع الملك فيليب فى الزواج من وريثة عرش مملكة إبيروس المجاورة لمملكته مقدونيا ليضم المملكتين ، فعرض الزواج على أوليمبياس وقبلت أوليمبياس الزواج من الملك فيليب ، واصطحبها فيليب إلى مقدونيا حيث أنجبت له ابنه الإسكندر فى عام ٣٥٦ ق . م الذى سيصبح الإسكندر الأكبر ذا القرنين Alexander The Great .

ولكن التنافر سرعان ما دب بين الملك فيليب وزوجته الإبيروسية الملكة أوليمبياس . كان الملك فيليب معنيا بشئون الحرب والقتال معجبا بالحضارة والثقافة والفلسفة والآداب اليونانية الراقية ، وكان شغله الشاغل هو توحيد بلاد اليونان وإخضاع مدنها المستقلة للحكم المقدونى لتوحيدها فى مملكة واحدة قوية لتكون قادرة على الانتصار على الإمبراطورية الفارسية . وكانت الملكة أوليمبياس قد شبت وترعرعت فى مملكة أخرى أشبه ما تكون بعالم آخر غير العالم الذى كان يعيش فيه الملك فيليب . كانت الملكة أوليمبياس قد تشبعت روحها منذ صباها بمعتقدات دينية غريبة الطقوس ، كثيرة الأسرار والمراسيم والتعليمات للأتباع والمريدين . وكانت لها احتفالات تغص بالخلاعة والمجون والإسراف فى احتساء الخمور - والعياذ بالله - مما كان يستهوى كثيرا من النساء والفلاحين والعبيد وغالبية الشعب الكادح الفقير الذى كانت تستهويه مثل هذه الشعائر والممارسات الغامضة فى الديانات " الأورفية والديونيسية والديمترية , Orphic Dionysiac &Demetric " ممتزجة بأعمال الكهنة وممارسة السحر التى كان يمارسها كهنة المعابد المتعددة فى بلاد اليونان . وكانت الملكة أوليمبياس قد تعمقت فى ممارسة هذه الأنماط الشاذة لسلوكيات هذه النحل الدينية ، وكانت تجيد ممارسة السحر ، كما كانت تحرص على أن تقتنى مجموعة كبيرة من الثعابين التى كانت تحتفظ بها داخل حجرة النوم مما كان يثير غضب الملك فيليب ، وكان يثور كثير من الجدل بين الملك والملكة فى كثير من الأحيان . ولم تكن الملكة تهتم

أو تحفل بانتصارات الملك فيليب الحربية ، بل كانت على النقيض من ذلك تريد له أن يكتفى بمملكة مقدونيا ولا يعرض حياته ثم حياة ابنه الإسكندر بالتالى للخطر فى غمار المعارك التى كان الملك فيليب مغرما بخوضها .

ويضاف إلى ذلك أن الملك فيليب كان متزوجا من امرأة أخرى قبل الملكة أوليمبياس ، وكان قد أنجب من زوجته الأولى ولدا اسمه " أريدايوس Aridaeus" وكان أكبر سنا من ابنها الإسكندر مما كان يجعل ابن ضرتها أقرب إلى اعتلاء العرش عند وفاة الملك فيليب . وعمدت الملكة أوليمبياس إلى تقديم شراب لبعض الأعشاب الطبية إلى ابن ضرتها أريدايوس مما جعله يعيش فى حالة من الجنون لكيلا يصلح لاعتلاء عرش مقدونيا ويخلو العرش لابنها الإسكندر .

ولعل كل هذه الأسباب قد أفضت بالملك فيليب إلى الزواج للمرة الثالثة من امرأة مقدونية الأصل اسمها كليوباترا سنة (٣٣٧ ق . م) وهى غير كيلوباترا المصرية بطبيعة الحال ، وكانت هذه الزيجة الثالثة هى القشة التى قصمت ظهر البعير وقضت على كل أمل فى إصلاح العلاقة بين الملك فيليب وزوجته الثانية الملكة أوليمبياس والدة الإسكندر . وعمدت الملكة أوليمبياس إلى تأليب مشاعر الإسكندر ضد أبيه الملك فيليب ، ولقد ظهر ذلك جليا واضحا فى أثناء حفل زواج الملك فيليب من زوجته الجديدة كليوباترا عندما وقف القائد المقدونى "أتالوس Attalus" والد العروس كليوباترا تحت تأثير الخمر - والعياذ بالله - ، ليقول : " آمل أن ينتج عن هذا الزواج طفل يكون وارثا مقدونى الأب والأم لعرش مقدونيا " ، وعند ذلك صاح الإسكندر قائلا : " ما هذا الذى تقوله ؟ ماذا أكون أنا إذن ؟ " وغضب الملك فيليب غضبا شديدا وقذف بالكأس الذى كان فى يده فى الهواء ، ولا يدرى أحد على وجه التحديد ما إذا كان يقصد بذلك حماه أم يقصد ابنه الإسكندر ، ثم جرد الملك فيليب سيفه من غمده ، ونهض مندفعا بين الموائد ، ولكنه نظرا لعاهة العرج لم يلبث أن وقع على الأرض، وعندئذ صاح الإسكندر قائلا : " انظروا أيها المقدونيون ! ها هو ذا الملك الذى يريد أن يزحف بجيشه المنتصر من بلاد اليونان إلى بلاد الفرس فى قارة أسيا ! كيف يكون ذلك ؟! إنه لا يستطيع أن ينتقل من منضدة إلى أخرى !"

شاخ الملك فيليب ، واكتمل شباب ابنه الإسكندر ، وصبيحة ليلة الزفاف التى ثار فيها ذلك الشجار والخلاف ، اصطحب الإسكندر أمه إلى موطنها فى مملكة إبيروس ، ورحل الملك فيليب إلى إقليم أللريا ، وعاد الإسكندر إلى بيلا عاصمة مقدونيا واستدعى أباه للعودة إليها واسترضاه . ولكن الملك فيليب كان لا يزال مجروح الفؤاد من الإهانة التى ألحقها به ابنه الإسكندر ، فأعلن عن رغبته فى أن يعتلى العرش بعده ابنه من زوجته الأولى " أريدايوس " رغم ضعف قواه العقلية مما أثار غضب الإسكندر من أبيه مرة أخرى . وكانت الملكة أوليمبياس قد عادت إلى مقدونيا بناء على إلحاح ابنها الإسكندر واجتهاده فى المصالحة بين أمه وأبيه ، وعندما أعلن الملك فيليب – سواء كان جادا أو غير جاد – عن رغبته فى أن يرتقى " أريدايوس" العرش بعد وفاة الملك فيليب ، دبرت الملكة أوليمبياس مؤامرة لاغتيال الملك فيليب أثناء حضوره حفل زواج ابنة أخيها فى مملكة إبيروس، إذ طعنه أحد رجال الحرس الخاص به بتدبير الملكة أوليمبياس . وكان جواد ينتظر القاتل امتطاه للهرب نحو مقدونيا ، ولكن كبا به الحصان ، وتم الإمساك بالقاتل وفتك به الموجودون فى حفل الزفاف من المقدونيين ، وعادوا بجثة الملك القتيل وجثة القاتل إلى مقدونيا ، وأصرت الملكة أوليمبياس على أن تكون جنازة القاتل مثل جنازة القتيل !

واعتلى الإسكندر عرش مقدونيا بعد اغتيال أبيه سنة ٣٣٦ ق . م وهو فى العشرين من عمره ، ولم تلبث الملكة أوليمبياس أن قتلت أخاه من الزوجة الثالثة للملك فيليب وهو فى أحضان أمه الملكة كليوباترا حتى لا يكون للملك فيليب ابن مقدونى الأب ، مقدونى الأم ينازع ابنها الإسكندر عرش مقدونيا بأى حال من الأحوال فى أى يوم من الأيام .

أب محارب فذ مقدام ، وأم سيطرت على عقلها وتصرفاتها الخرافات والأساطير والسحر والأوهام ، وابن ورث عن أبيه العرش المقدونى والفروسية والشجاعة والإقدام ، وورث عن أمه الميل إلى التدين والولع الشديد بالانتقام.. هو الإسكندر الأكبر المقدونى ذو القرنين الذى بلغت فتوحاته مبلغا لم يصل إليه أحد قبله أو بعده فى يوم من الأيام .

".. واعتلى الإسكندر عرش مقدونيا وهو فى العشرين من عمره"